

نفحات القرآن

[324] فحينما يوفَّقُ المسلمون يوماً لفتح الأندلس وهي بوابة أوربا أو يخرجون من تلك الديار المعمورة يوماً آخر فإنَّ ذلك حديث وفق تلك الأسباب التي هي مظاهر لمشئته الإلهية . وعندما يتسلَّط أمثال يزيد وجنغيزخان على الناس فلعلَّه نتيجةً لأعمال الناس أنفسهم وأنَّهم أهل لمثل هذه الحكومات حيث ورد : (كما تكونوا يولَّي عليكم) . من هنا يتَّضح الجواب على الأسئلة التي تطرح حول آية البحث وليست بحاجة إلى توضيح أكبر . * * *
الآية الثانية تنظر إلى الإشكالات الواهية التي أثارت اليهود حول تغيير القبلة بقولهم : هل بإمكان الله أن ينسخ حكماً ويحلَّ حكماً آخر محلَّه ؟ أن يرفع حكم القبلة من بيت المقدس ويجعله للكعبة ؟ فتقول : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . وعليه هل يكون عجيباً أن يقوم مثل هذا الحاكم العظيم بنسخ حكم ؟ إنَّه ليس مطَّلعاً على مصالح العباد فحسب بل له الحاكمية أيضاً وهو مالك التدبير والتصرُّف المطلق في الكون في عباده . ولذا تضيف الآية في ذيلها (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) . إنَّه يعينكم في ضوء علمه بالمصالح والمفاسد وفي ظلِّ حاكميته يسنِّ القوانين ، ثمَّ أنَّ الله تعالى ليس له مكان لكي تتوجَّهوا إليه في الصلاة ، وعليه فإنَّ قيمة المكان المتَّخذ كقبلة – مع أنَّ الكون بأسره ملك له – ناشئة من أمره بذلك . وقد ورد وصف الله تعالى بأنَّه (ولي) و (نصير) في القرآن بكثرة ، ويمكن أن يكون الاختلاف بينهما من جهتين : الأولى أنَّ (ولي) يعني حافظ